

تعزيز ثقافة الفوضى بين الجماهير

هدم الوعي من ظلال تحريك التمرد كقوة محركة نحو الصدام والتشرد

بعض الأفعال والأفكار تلعب أخطر الأدوار في تخدير عقول العامة عبر تسويق الأوهام كأنها هي الحقائق

حالات التمرد عند الجماهير تظل العنصر الفاعل في دفعها نحو إسقاط الهدف المطلوب ومن الصعب على القيادة السياسية حرف الجماهير عنها



ليست الجماهير قوة واحدة في الإدراك ومستوى العمل، بل هي تقلبات وأهواء وحالات لا يمكن حصرها في زاوية محددة والانفراد بها.

لذلك تصبح مسألة تحديد نوعية وعيها غير مرتبطة بوضعية قد يرى فيها البعض استمرارية على نفس الاتجاه حتى تصل إلى الغاية المطلوبة.

ولأن السياسة ليس لها وجه واحد، كذلك هي الجماهير التي قد تنتقل في لحظات من المطالبة المشروعة إلى أعمال الفوضى؛ لأن الانقسامات في الرأي من عوامل صنع الاتجاه السياسي في الشارع.

نجمي عبدالمجيد

الحروب ليست هي ما يهزم الدولة بل وصولها إلى مرحلة تقسيمها إلى عدة كيانات متصارعة فيما بينها من الداخل

السلحدين يصبح في يد الجماهير تصبح عملية محاربتها خاسرة لأن السلاح في قبضة الأمة لا يعرف حدوداً لقوة انفجاره



شعارات واحدة لكنها عند الاقتراب من الهدف تخرج الانتماءات الذاتية التي تطالب بحصص كل جماعة وكان الغرض لم يكن قضية عامة بل تسابق نحو غاية وهي الانفراد بالسلطة.

وهذا ما قد يدفع بعناصر نحو قوة السلاح في لحظة إن حسنت أن البساط يسحب من تحت اقدامها. وهو الخيار الثاني الذي لا ثالث بعده لأن عقلية الفوضى حين تصل إلى طريق مغلق أو تشعر بانها سوف تزاح حتى لو كان ذلك عن طريق فعل ديمقراطي مثل الانتخابات أو طرح للرأي العام لا ترى في هذا إلا خيانة وتآمر عليها لإخراجها من الساحة وزميتها في زاوية تقصي بها عن واقع الأشياء.

إن الفوضى في السياسة هي جزء من حالة الواقع السياسي في كل العالم.

لكن الاختلاف في مستويات ثقافة الشعوب الفكرية وما كسبت من تجارب تركت في عمق وجدان الأمم من معالم ترسدها إلى مسالك الخروج من دوامات التناحر. أما في المجتمعات التي ما زالت تحكم عبر عقليات الكهوف المظلمة فإن المسائل ما زالت في حلقات الحروب المغلقة. حتى لو حدث تبدل في صورة القوى السياسية فإن الإقتراب يكون من نفس المصادر السابقة، مما يعني أن لا جديد قائم طالما التشكيل يأتي من نفس المصدر، وهذا ما نجده في دول تعاني الحروب الأهلية عبر حقب لكنها عاجزة عن صنع قيادة تخرج بها من هذه المحارق.

إن ثقافة الفوضى عند الجماهير ليست وليدة الوعي الحضاري بل هي تراكم الأفعال القهرية في الانفس على مراحل من الصراعات وكلما طاللت الأزمات في أوقاتها كان الحقد والرغبة في الانتقام ليس من السلطة فقط، بل حتى من المجتمع، آليات تحرك في العقل المتصد لكل حالات القهر والتلاعب في حسابات المصير.

واليوم نرى دولا قد أحرقتهما الفوضى المسلحة إلى حد لم يعد هناك مجال لنجاح أي مشروع سياسي يخرجها من هذا الخراب.

إن الجماهير وإن صنعت الفوضى في مرحلة ربما تعجز بعد ذلك عن الخروج منها بعدما تصبح القوى المسيطرة على المشهد في عقول العامة.

لذلك قبل الأقدام على العمل في الشارع السياسي لابد من عقليات ترسم استراتيجية تحدد نقطة الانطلاق وأين تصل الامور.. ولا نغفل هذا السؤال: ماذا بعد؟

من سلوكيات الفرد او الجماعة، حتى تتجمع عدة عناصر تساعد على رفعها من تلك الجوانب إلى مخارج الاعمال لتصبح الفعل المتحكم بالرغبات والاحلام ولعل أخطر ما فيها جعل الوهم في موضع الفعل القادر على خلق الحقيقة.

تلعب في هذا قوة الكلمات في صناعة الصور في عقول العامة بمعنى ما فقد في الواقع يرتفع في المخيلة إلى حد التجسيد الواقعي، وحين يتضخم الوهم إلى درجة الحقيقة المؤكدة وكلما طالت مراحل التحدي عند العامة تكون الأوهام قد تجسدت في كل اشكال التضحيات وفي هذا ترى الجماهير أن الفوضى هي برامج العمل السياسي بل خطابها القومي في مسيرة هذا النضال التحرري ضد كل ما هو دخيل عليها.

حين يتحاور الهدم مع القوة في عقل الامة تصبح في حالة هييجان قائلة تعبر عنها بانواع الرفض و التمرد، ويفرض مبدأ العنف ضد الطرف الآخر الذي يذهب هو إلى نفس الطريق في التعامل مع رفض الجماهير. هذا النوع من اساليب التوحش وقعت فيه عدة شعوب واوطان فلم تحصن منها غير الدمار الكامل لأنها أغفلت في ردها على أخطر سؤال في السياسة وهو (ماذا بعد)؟

ليست الأزمة في انطلاق الفوضى الجماهيرية بل فيما يكون بعدها وهو السؤال الذي عجزت عن الرد عليه قيادات وجماهير، مما جعل أمورها معلقة دون رد قاطع وفي هذا ما يؤكد أن العقلات التي دفعت الجماهير نحو الفوضى عجزت في النهاية عن الإمساك بزمام الامور، والثورة إن جاءت من خلفيات فوضوية فلا توصل في النهاية إلا للنطق المظلم.

علينا هنا أن ننقذ عند قضية المجتمع الذي تنطلق منه عناصر الفوضى الجماهيرية..

ففي الدول التي أقامت مؤسسات المجتمع المدني تظل المرجعية في قيادة الأمور محكمة بتاريخ هذه الدول التي تدرجت عبر فترات من الأزمنة في صياغة مفهوم الدولة والمعارضة، حيث تحنك في النهاية إلى إرثها في إعادة تشكيل الجوانب السياسية في قيادة الدولة.

أما في الشرق، ما زالت مسائل الدولة والسلطة والأحزاب بل حتى الانتماء الجماهيري مرتبطة بعناصر القوى الذاتية من مذهبية وقبلية ومناطقية ووطنية وغيرها من معالم التشرد في خلق القرار الواحد. وهذا ما يجعل آلية بناء الوعي الجماهيري المتكامل العناصر مفقودا في معظم الاحيان فقد تأتي الجماهير إلى الساحات وهي ترفع

وقد وقعت عدة دول في هذا الوضع لانها مازالت تظن ان القوة هي آلية السيطرة الوحيدة.

لكن تواصل الحروب الأهلية يوصل الدول إلى حالة عجز في إنتاج قيادة توحد الأمة، بل يذهب بالجماهير إلى حدة في التعامل مع كل موقف إلى حد الجريمة في الشارع السياسي، ولأن استمرارية الصراعات تدخل المجتمع في أمراض نفسية ليس من السهل تجاوزها حيث تتصاعد الرغبة في جعل كل جزء متشرد دولة وكيانا يحمل شعور السيادة وان هذه الاستقلالية لا تصبح موطننا حاضرا في الوجدان إلا بحضور السلاح، وهو هنا قوة فكرية راسخة في العقيدة القتالية حيث يصبح الاحساس بمنطق العنف هو لغة التخاطب ليس مع الغير بل مع أفراد من صنف الانتماء الواحد.

وحين يتعمق هذا الشعور عبر حقب ومراحل في ضمائر الاجيال يصبح هو الهوية والانتماء، وينغرس وضعه الفردي عند الجماعات حتى يرتفع على كل الولاءات حتى فوق الوطن.

وحين تصل الأمور إلى درجة قتل الهوية الوطنية يصبح من الصعب فرضها مهما كانت درجة القوة القاهرة في فرضها؛ لأنها في كيان من يرفضها، تقتل في الذات قبل قتلها في المجتمع.

كما تلعب رغبات التدمير دورها في قيادة هدم الأمة من الداخل. هذا ما يجري اليوم في عدة دول عربية سقطت بفعل سطوة الدولة القمعية والمعارضة الفوضوية التي مارست واقع السلطة عبر الارهاب، فكان رد الجماهير ضرب الارهاب بالارهاب، وفي الحاضر لم تعد تحكمها إلا افرازات قليلة من بقايا القوى المحركة لكل ما يجري فيها. في بعض المجرىات تتحول الفوضى والصراعات إلى قواعد سارية المفعل في الحياة، بل تخلق لها كل وسائل البقاء والتجانس مع الجماهير، بل قد تتشكل في برامج عمل ونظم جارية في قنوات الافعال.

وهذه حالات دائما ما تمر بها مجتمعات صناعة الفوضى الدائمة لكن هنا ننفق أمام سؤال هو: لماذا تعجز بعض الشعوب عن لجم الفوضى؟! هل العجز في مقدراتها على تجاوز تركيبها النفسية التي عاشت ما بين الاستسلام والتمرد، بمعنى إما اليأس أو الفوضى؟! لكن هذا يعني ان الجماهير حين ترى في مبدأ الفوضى قوة دافعة لم تعد تحترم القانون الذي تجد فيه قيودا تحد من قوى الاندفاع، بل تتمرد عليه وربما تدخل في صدام معه لحد الهدم الكامل لكل ركائزه. هنا تصبح الجماهير في حالة عجز في قضية التخاطب مع مفهوم الدولة.

وهل تستطيع الدولة ان تخرج من رحم الفوضى، وهل الجماهير التي جعلت من الفوضى طريقا للسيطرة تملك القدرة على البناء حسب شروط المجتمع المدني الذي لا يقام إلا على القوانين والنظم؟! هناك تساؤلات المواجهة الخارجة من عمق الالتقاء بين سيطرة الجماهير وقيام الدولة، لأن حالات الفوضى الجماهيرية دائما ما تخلق الأرضية غير المستقرة ومن هنا نجد ان الفوضى لا تستمر إلا بين توائل التصعد في القشرة السياسية والتي فقدت القدرة على خلق التجانس بين مكونات الجماهير التي خرجت في صف واحد تطالب بقلب الأوضاع.

لكن علينا في كل هذا ان نطرح هذا السؤال: هل للفوضى ثقافة تعزز في عقليات الجماهير؟!

الاجابة: هي في مفاهيم علم العامة تراكمات في الافعال وردود الفعل، بل مقادير من الحقد والتآمر والرغبة في الانتقام وهي عوامل مكتسبة في عمق الوجدان وشعور ويظل في حالة سكون في تلك الأبعاد الخفية

في عقليات الجماهير؟! ولكن هذا السؤال: هل للفوضى ثقافة تعزز في عقليات الجماهير؟!

الاجابة: هي في مفاهيم علم العامة تراكمات في الافعال وردود الفعل، بل مقادير من الحقد والتآمر والرغبة في الانتقام وهي عوامل مكتسبة في عمق الوجدان وشعور ويظل في حالة سكون في تلك الأبعاد الخفية

